

الفصل الأول

بداية الحكاية

بداية الحكاية

قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾¹.

بهذا البيان أبتدئ هذه الرحلة، حيث كان اختياري أن أعيش حراً على أرضي، وأن تعيش أرضي حرة، وأن تعيش قُدسي حرةً، وأن تعيش فلسطين حرة عربية، تلفظ الغرباء، ولا تقبل الدخلاء أياً كانوا.

وما إن وقعت القدس، وبقيّة فلسطين، وسيناء والجولان سنة 1967، تحت الاحتلال، حتى ضاقت نفسي بهذا الدخيل، وسبق فعلي حديث النفس في مقاومته ومقارعته، كنت في بداية الثانوية العامة أتلقى علمي في ثانوية الأقصى الشرعية في باب السلسلة، وكان لي أبناء عمومة التحقوا بركب الثورة الفلسطينية، ومنهم من قضى نحبه شهيداً في معركة الكرامة في 1968/3/21، الشهيد فوزي موسى أبو طير، ومنهم من وقع أسيراً، المجاهد المناضل منير محمود أبو طير، والذي يعيش حالياً في الأردن، ولم يطل به الأسر، وكنت مع الأخ منير قبل الأسر، وبعد الأسر، حيث استأنفنا نشاطنا، وجمعتنا الأيام بعد أحداث أيلول/سبتمبر وخلالها عام 1970 في الأردن.. ثم دفعت بي روح التحدي، وثورة نفسي، أن ألقى بعصا الترحال إلى سورية ولبنان، من أجل أن أواصل المسيرة، وأن أعود إلى أرض الوطن، وقد حصنت نفسي بالمعنويات العالية، والتدريب على ما يستطيع ويخدم في حرب العصابات ضدّ الاحتلال وكان لي ذلك. وما بين القدس والأردن وسورية ولبنان كانت رحلة الذهاب والإياب، تحت غطاء الدراسة الجامعية، حتى كان اعتقالي الأول في 1974/9/13.

بطاقة تعريف:

أنا العبد الفقير إلى رحمة الله محمد بن محمود بن حسن أبو طير، والمشهور بين الناس، بالشيخ أبو طير، ولها قصة سأحدث عنها². ولدت ونشأت وترعرعت في

¹ القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 216.

² انظر: شجرة عائلة أبو طير، التي قام على إعدادها أعضاء مركز عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم: الشيخ حامد محمد أبو طير، المحامي علي محمد أبو طير وآخرون، 2007، ص 491. [المحرر]

قريتي المعروفة بأَم طوبا، وأم طوبا قرية وادعة تعتلي بيوتها سفوح الجبال بين القدس وبيت لحم، وهي أقرب إلى الوعر منها إلى السهل، وتقع إلى الجنوب من مدينة القدس. وهي أقرب إلى بيت لحم، وهي وتجاور بلدة صور باهر، وتمتاز هذه القرية بأن جميع سكانها من آل أبو طير.

وُلدت في هذه القرية بتاريخ 1951/4/16 لعائلة متواضعة ومحافظة، وهي أقرب إلى الفقر منها إلى الغنى. وتلقيت تعليمي الابتدائي والإعدادي في مدرسة صور باهر التابعة لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East (UNRWA). وخلال الأيام الدراسية، ومع حضور شهر الصيام، شهر رمضان، كنت كثير التردد على مسجد صور باهر للصلاة ولقراءة القرآن، على يدي الشيخ سليمان العظمية رحمه الله، وإن كان لتلك الأيام وصف، فهي أيام غربة، وكأن المسجد والتدين لا يصلحان إلا لكبار السن، بل إن من كبار السن من كان يطردنا من المسجد.

وقفه مع الأسرة:

أمي رحمها الله، كانت مربية، ونعم المربية، حتى قال لي الأخ والابن المجاهد محمود عطون³، من صور باهر شقيق النائب الحبيب أحمد عطون (أبو مجاهد)⁴، وهما من عائلة مجاهدة، وبيتها بحق عنوان للمشروع الجهادي، قال ونحن في سجن عسقلان، وعلى مسمع من الإخوة ولم يكونوا على علم بتاريخ أمي المجاهدة، التي سأحدث عن جهادها إن شاء الله، قال لي الأخ محمود: أمك ربت أخواتك من البنات كالضباط. وهذه شهادة أفخر بها.

³ محمود أحمد عطون (1970-): أسير مقدسي من صور باهر، كان طالباً في كلية العلوم الإسلامية. نشط في كتائب القسام، وهو أحد منفذي عملية خطف الجندي الصهيوني نسيم توليدانو Nissim Toledano في 1992/12/13 بهدف مبادلتها بالشيخ أحمد ياسين. أسهم في عدد من العمليات ضد الاحتلال الصهيوني، واعتقل في 1993/6/3، وحكم لمدة ثلاثة مؤبدات وأربعين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

⁴ أحمد محمد عطون (1968-): ولد في قرية صور باهر، وحصل على درجة البكالوريوس من كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة القدس، وحصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة القدس. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في حركة حماس. انتخب لعضوية المجلس التشريعي عن مدينة القدس سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال وتقرر إبعاده وحرمانه من هويته المقدسية.

أمي رحمها الله، قامت على تربيته جيداً، وكانت أمي إذا احتاجت إلى أن تضربنا تفعل ذلك، وما كان لأبي أن يتدخل في ذلك إلا إذا اقتضى الأمر. وكانت فينا روح التمرد؛ لأن حال القرى ومشاكلات الأولاد والريف والخلاء، ورعي الأغنام، وأيام الحصاد، والأعوام المتقلبة والمتلاحقة، كانت تجبل فينا الصدامية، والقوة النفسية والجسدية.

أمي رحمها الله، كانت راجحة العقل، حتى أن السيد الوالد رحمه الله، كان يقول عنها: الجازية، (والجازية معروفة من خلال تغريبة بني هلال أنها كانت المستشارية لأبي زيد الهلالي والأمير حسن).

أمي رحمها الله، رفيقة دربي، وموطن سري، وكانت والوالد رحمهما الله، على دراية وعلم بكل خطوة في هذه الطريق، وعلى هذا الدرب، درب الجهاد والثورة ضد المحتل؛ لأنني كنت أطلب رضاهما، وكانا على قناعة بهذا الدرب.

أما السيد الوالد رحمه الله، فكان عصامياً حازماً، ولا يعرف الاتكالية، حتى ولو في شربة ماء. وكان من قوة نفسه وحزمه أنه ذات مرة في سنة 1992، سألتني عن أخي (أبو زيد) واسمه راضي، لماذا لم يذهب أبو زيد للعمل؛ قلت له: لأمر ما لم يذهب، حتى إذا سألت ثانية فلا بد من الجواب. فقلت له بصراحة: عندنا مهمة جهادية، ذهب لإنجازها، ولإحضار أدوات قتالية، وأسلحة نارية، فما كان إلا أن قال: "طريق الجنة مش ببلاش"، وكان متكئاً على عصاه على حائط أمام البيت، ثم دخل إلى غرفة نومه.

السيد الوالد رحمه الله، كان يعمل في المحاجر، ويحصل على قوت يومه كما كان يقول: من بين الحديد والصوان، والصوان اسم لنوع من الحجارة شديد الصلابة. كان يعمل دقاًقاً وبناءً للحجر، وكان يتفنى في عمله ويحبه، حتى أنه كان يحضن حجر البناء كأنه ولده، وهو يعده للبناء. وإلى جانب هذا، كان مهتماً بالسياسة، ومتابعاً للأحداث والتطورات، كان يعرف أبعاد الصراع، وعاش احتلالين لفلسطين، ودفع الضريبة من عمره وأبنائه؛ فالاحتلال الأول كان الانتداب البريطاني على فلسطين، وشارك في مواجهته من خلال جماعة الإخوان المسلمين، التي جاءت للدفاع عن القدس وفلسطين أعوام 1948 و49 و50، من مصر والسودان وسورية والأردن والعراق. ولقد حدثني شيخ جليل من قريتنا، ومن حفظة كتاب الله، هو الشيخ (أبو منير) أحمد أبو طير أن والدي كان يسرق السلاح من معسكرات الجيش البريطاني ويأتي به للمجاهدين من

جماعة الإخوان، وكان متميزاً في جراته، حتى أنه كان سليطاً على الحنش والأفاعي. وعاش احتلال الصهاينة لأرض فلسطين عام 1948، وعام الهزيمة والنكبة 1967.

صاحب السيد الوالد رحمه الله، المجاهد محمود عبده، من قادة الإخوان الذين قدموا من مصر للدفاع عن القدس وفلسطين، وعرف كثيراً منهم وبأسمائهم، منهم مالك من السودان. وقال لي ذات مرة: إن محمود عبده تدرج من على الثلوج في ظلمة إحدى الليالي، فكان يقول: اللهم أشهدك أن هذا في سبيلك، وكان يقوم على حراسة الخنادق، ويأتي عساكره وأبناء القرى، الذين يقومون بواجب الحراسة ليلاً، فمن وجده نائماً أيقظه موبخاً، لمن تترك ثغرك؟ للصهاينة حتى يفاجئوك ويستبيحوا الأعراض، ويروّعوا الأطفال والنساء؟

هذا ما ذكره لي أبي رحمه الله، عن هذا القائد المجاهد محمود عبده. ومن حُبّ أبي له، ومن حُبّ القائد محمود عبده لأبي، طلب من أبي أن يرافقه إلى مصر، لكن أبي رفض ذلك.

وكان من اهتمام أبي بما حلّ بالأمة، وما دهى فلسطين، أنه كان يتابع هموم السياسة، وكنت أسمع معه من خلال "الراديو" المذيع المقال الأسبوعي لمحمد حسنين هيكل، وأخبار القاهرة، وصوت العرب، وتعليقات أحمد سعيد، وعناوين الصحف المصرية؛ الأهرام، والجمهورية، والأخبار.

أما بقية الأسرة، (فنحن خمسة إخوة وأربع أخوات)، منهم من دخل السجن على خلفية هذا الصراع، فأخي عمر سجن لأكثر من مرة، ولكن لفترات قصيرة، وأخي راضي (أبو زيد) سجن لأكثر من مرة، وسجن معي سنة 1992، لثلاث سنوات بتهمة حيازة السلاح، والانتماء لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وكذلك أتى على بيتنا أعياد ونحن جميعاً في السجن، والحمد لله. وأخي الحاج عمر (أبو خالد) سجن سنة 1976 لسته أشهر، وكسر يد محقق في التحقيق، حيث كان يمارس لعبة الكراتيه.

الهدسة ودورها في نشأتي:

كانت المدرسة في أيامها الأولى، أيام الابتدائية، قائمة على الاختلاط. وهي تابعة لوكالة الأونروا، ولما كانت السنة الرابعة الابتدائية انتقلت إلى مدرسة صور باهر الإعدادية للبنين، وهناك واصلت ما تبقى من تعليمي الابتدائي والإعدادي، وكنت من المتقدمين لا

من المتفوقين، حتى كان الثاني الإعدادي والثالث الإعدادي فكنت من المتفوقين خاصة في الرياضيات ما عدا الحساب، وفي الطبيعيات ما عدا علم الأحياء.

في هذه المرحلة درّسنا أساتذة، منهم من كرّهنّا في الدراسة وخاصة اللغة العربية؛ لأساليبهم الفاشلة، ومنهم من كان موفقاً في تعليمنا، وخاصة أساتذة الرياضيات والعلوم واللغة الإنجليزية. وبقيت اللغة العربية ثقيلة وغريبة على فهمي وعالمي، حتى قبض الله لي ولبقية التلاميذ في المرحلة الثانوية أستاذاً فاضلاً؛ كان له الفضل في إفهامنا لغة العرب، حتى أصبحت من عشاقها، ومضغت كلماتها، وهو الأستاذ عبد المحسن جابر. أما مادة الدين الإسلامي، فكان الحاضر القوي هو الأستاذ فياض محمد فياض، من بيت ساحور، وكان له فضل علينا، وإن كانت الأفهام قاصرة عن التآلق والنضج، لغربة الدين وقتذاك، ولغربة الدعوة والدعاة، وطغيان المد القومي، وما جاءنا من زبد الحضارة الغربية.

وذاث يوم، ونحن نتلقّى من أستاذنا فياض مادة الدين وتحفيظ القرآن، طلب من تلامذة الصف أن يتقدم واحد منهم ليرفع الأذان، ومن كان يرفع الأذان وقتذاك كان يُضحك عليه، فما استجاب أحدٌ لذلك، فتقدمت ورفعت الأذان، ومن يومها شاع بين الناس لقبني بالشيخ، منذ الأيام الأولى من عمري، وكان يطيب لأمي رحمها الله، أن تناديني بالشيخ.

في الفترة الإعدادية، كما ذكرت من قبل، كنت أحب الهندسة والجبر... بل كنت الأول في هذه المادة على أبناء صفّي، بينما كنت أكره الحساب، وليومنا هذا أكره الحساب، وكنت أحب الفيزياء، وعوضني عن ذلك أن أصغر إخوتي سنّاً هو اليوم أستاذ فيزياء، بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه. وأذكر أن الأستاذ عيسى بنوره (مسيحي من بيت ساحور وأتخول به؛ لأن جدتي لأمي من بيت ساحور)... هذا الأستاذ كان يسأل عني ويقول: أين محمد أبو طير؟ لأنني كنت بارعاً في مادة الهندسة.

الدراسة بعد الاحتلال:

بعد حرب 1967، فرض الاحتلال على مدارس القدس المنهج التابع لوزارة المعارف الإسرائيلية. وبدلاً من التوجيهي الأردني، حلَّ "البجروت الإسرائيلي"، فذهبت إلى مدرسة الرشيدية، وكان مديرها يومذاك المربي الفاضل والأستاذ القدير ابن القدس

البار الأستاذ راتب الرابي، وبعد أسبوع من الدراسة في الرشيدية، ذهبت إلى المدير وطلبت منه ورقة انتقال إلى ثانوية الأقصى الشرعية، فما ساعدني في ذلك، فذهبت دون ورقة نقل أو كتاب نقل، واستقبلني مديرها، وهو الدكتور عكرمة صبري، والمعروف بصدق وطنيته، وهو خطيب المسجد الأقصى المبارك، وابن قاضي القدس الراحل سماحة الشيخ سعيد صبري، رحمه الله.

وفي مدرسة ثانوية الأقصى الشرعية، تلقيت علمي حسب المنهج الأردني، وقد ضاعت مني سنة لترددي بعد الاحتلال في أن أتعلم، أو أن لا أتعلم.

في هذه المدرسة علماء، ومواد الدراسة كثيرة، ولم ينحصر الأمر بمواد الصف الأول الثانوي، والثاني الثانوي، والثالث الثانوي، بل تعدى ذلك إلى دراسة الفقه الإسلامي على مذهب أبي حنيفة كاملاً، من خلال المراحل الثانوية، وكذلك علم التشريع، والتوحيد، والفلسفة، والميراث، وأصول المحاكمات، وعلم الحديث، ومصطلحه، وعلم الرجال، ومواد هي من اختصاص الدراسة الجامعية، لكن بحمد الله استفدنا من ذلك، ونجحت في التوجيهي الأردني، والتوجيهي الشرعي، وما بينهما أسبوعان من الوقت، والحمد لله.

كان ممن درّسنا وتلقينا العلوم على أيديهم، العالم الجليل وخطيب المسجد الأقصى المبارك فضيلة الشيخ جميل الخطيب، وفضيلة الشيخ عكرمة صبري، والأستاذ الدكتور أحمد فهيم جبر، والأستاذ الشيخ شحادة حمدان، والأستاذ محمد الكفراوي، والأستاذ عبد المحسن جابر، والأستاذ عزت دوفش، وعذراً لمن لم يذكر اسمه. كما كان معي وسبقني من الطلبة فضيلة الشيخ جميل حمامي⁵، والأستاذ يوسف أبو عسلة، والشيخ محمد حسين مفتي القدس، والدكتور أحمد فواقة، والدكتور موسى البسيط، وكان معنا في تلقي العلوم من غزة هاشم ورفح وخانيونس. ومع حبي وتقديري لأساتذتنا جميعاً، والذين علمونا الفقه والتشريع، والعلوم الأخرى، كان الفقه الدعوي والحركي غائباً

⁵ جميل عبد الرحيم حمامي (1952-): ولد في معان بالأردن حيث كان يعمل والده شرطياً. استقرت عائلته في القدس، وأكمل تعليمه الجامعي في مصر. عمل إماماً وخطيباً وواعظاً متجولاً في منطقة رام الله، ثم مديراً لدائرة الحديث الشريف في المسجد الأقصى ومديراً لأوقاف بيت لحم. أسهم في تأسيس عدد من المؤسسات والمنظمات الخيرية، ونشط في صفوف الإخوان المسلمين في فلسطين بفترة مبكرة، وأسهم في تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس). اعتقل لدوره المؤسس في الضربة الأولى التي وجهت لحركة حماس. ناشط في الدفاع عن القدس والمسجد الأقصى.

عن تصورهم، ولولا قراءاتي للشهيد سيد قطب⁶ رحمه الله، من خلال تفسيره الضلال ومعالم في الطريق ما اتضحت الأمور، ولبقيت الظلمة والجهل يعشعشان في نفسي.

وفي العام الدراسي 1970/1971 تقدمت وعشرون من أبناء صور باهر وأم طوبا للتوجيهي الأردني والشرعي، فلم ينجح سواي على ما أذكر.

وقفه مع حرب 1967:

قبل الحرب كانت قريتنا وادعة، وإن كانت قرية حدودية، وجارتنا صور باهر لها باع في الجهاد، وصيتها ذائع يوم أن استقبلت جموع المجاهدين من الإخوان سنة 1948، ولكن خالط الخير دحْنٌ، فلما دخل الجيش الأردني ليقوم بدوره بدلاً من كتائب المجاهدين، وبقيادة القائد البريطاني ”غلوب“ باشا المكنى (أبو حنيك)، جاء غلوب إلى المنطقة الحدودية، وكانت مدرسة صور باهر الإعدادية هي مقر قيادة المجاهدين، فتقدم بعض المخاتير من أهل البلدة، وليسوا من الوجهاء، إلى القائد المجاهد محمود عبده، يشيرون عليه أن يستقبل غلوب، فجمع محمود عبده الناس في مدرسة صور باهر، وقال للمخاتير: ”أتطلبون مني أن أستقبل هذا الكافر... هذا المتآمر، والله لو بالعصي دُول [هذه العصي]، وكان يحمل عصاه العسكرية، والله لو بالعصي دول، نقاتل اليهود، ولا نسمح لهم باحتلال أرضنا“. فجاء غلوب إلى منطقة الحدود مع العدو الصهيوني، ماراً بالمدرسة ومن فيها، وما استقبله أحد، وهذا ما حدثني به أبي رحمه الله، عن هذا الموقف.

⁶ سيد قطب (1906-1966): من مواليد أحد قرى محافظة أسيوط بمصر، وهو من أبرز مفكري جماعة الإخوان وكتابها بعد إمامها حسن البنا. تخرّج من كلية دار العلوم بالقاهرة، وشغل عدة مناصب في وزارة المعارف. نشر العشرات من المقالات في عدد من الصحف والمجلات المصرية، وأصدر عدداً منها. انتسب للجماعة سنة 1953، واستلم مسؤولية قسم نشر الدعوة. اعتقل بعد حادثة المنشية وحكم عليه بالسجن لمدة 15 عاماً، تعرض خلالها لتعذيب شديد وكتب أبرز مؤلفاته، ”في ظلال القرآن“ و”معالم في الطريق“، و”المستقبل لهذا الدين“، وغيرها. أفرج عنه سنة 1964 ليقبض عليه من جديد بعد اتهامه بقيادة تنظيم إخواني يهدف للانقلاب على الحكم، وأعدم وعدد من إخوانه في 1966/8/29.

مروان خالد حديد (1934-1976): ولد في مدينة حماة بسورية، ودرس الهندسة الزراعية في مصر. شاعر، انتظم في صفوف الإخوان المسلمين في مصر وتأثر بأجواء القمع السياسي الذي كانت تتعرض له الجماعة. اعتقل وآخرين في اقتحام مسجد السلطان في حماة سنة 1964 وحكم عليه بالإعدام. أصدر الرئيس السوري أمين الحافظ عفواً عاماً عن المحكومين بالإعدام بعد واسطة للشيخ محمد الحامد. بدأ الإعداد لعمل عسكري ضد النظام السوري، فأنشأ تنظيمياً خاصاً به بعيداً عن الإخوان المسلمين الذين رفضت قيادتهم فكرة الصدام العسكري. اعتقل بعد فترة من المطاردة في 1975/6/30، وتعرض لتعذيب شديد توفي على إثره في سجن المزة العسكري.

قبل حرب 1967 كانت الأمة وشعوبها مُخدّرة، والخطاب الملتهب يُلهب مشاعرها، ويدغدغ عواطفها، وديماغوجية أحمد سعيد وجمال عبد الناصر، وصواريخ القاهر والظافر، التي سمعنا بها وما شاهدنا طحنها، قد أثارت في الناس حمية النزال والمراغمة، وهذه الشعارات الطنانة الرنانة، ”من المحيط الهادر إلى الخليج التائر لبيك عبد الناصر“. هذه جميعاً ألقت بالشعب الفلسطيني على الخصوص، والشعوب العربية عامة، إلى التواكل، واستمراء الانتظار، مع عوامل الإحباط التي كان للأنظمة جميعها دورٌ في تردي الناس وأحوالهم، وقلة صبرهم، بل عجزهم عن التصدي للاحتلال ومقاومته منذ أن وطئت أقدامه أرضنا.

إن للأنظمة دوراً سيئاً في قهر شعوبها وترويضها، وإشاعة الخوف من العدو، بدلاً من التعبئة النفسية، والجهادية، وثقافة الرباط. فهذه الأنظمة حاصرت الناس وجوعتهم، حتى يتلهوا بطلب الرزق، ولو أدى ذلك إلى هجر الأوطان من أجل لقمة العيش، بل الأنكى من ذلك كانوا يعتقلون ويسجون من يجدون عنده رصاصة بندقية، فكيف إذا كانت بندقية؟ وكان ممنوعاً على الناس أن يستمعوا لإذاعات التخدير في مصر والدول الأخرى، من القهر وكبت الحريات، الذي تمارسه هذه الدول. فالاحتلال بسطوته، وبالحكم العسكري لأهلنا سنة 1948، لم يمنع الناس من الاستماع لإذاعات العرب، لكن الأنظمة نجحت في ذلك. وما عندي قليل مما يعرفه الناس وعاشوه قبل سنة 1967، فقبل الحرب بأيام كانت المنطقة بمحيطها ملتبهة المشاعر، وتعيش على صفيح ساخن؛ لأن الحرب على الأبواب وتحرير فلسطين قاب قوسين أو أدنى. وجاء الشقيري، رحمه الله، إلى القدس بعد أن خرجت منظمة التحرير الفلسطينية من تحت عباءة الأنظمة العربية بقيادة جمال عبد الناصر، لتكون ملهاة بعد أن عجزت الأنظمة أمام التحديات، واستنفذت التخدير أغراضه، فكان السيد أحمد الشقيري الرئيس الأول لمنظمة التحرير، وتشكل لها جيش باسمها جيش التحرير الفلسطيني، وكان لهذا الجيش دوره بعد الاحتلال سنة 1967، حيث عملت بقاياها، من على أرض غزة باسم قوات التحرير الشعبية. فقاومت الاحتلال وقارعتة، وقدمت الشهداء والسجناء، منهم القادة الأبطال عبد القادر أبو الفحم، الذي استشهد في سجن عسقلان سنة 1970⁷، وهو

⁷ استشهد الأسير عبد القادر جبر أحمد أبو الفحم في سجن عسقلان خلال مشاركته في الإضراب عن الطعام، وكان ذلك يوم 1970/5/11. [المحرر]

مضرب عن الطعام. ومن قادة هذا الجيش الضابط العقيد جبر علي عمار بدرساوي من بيت درّاس، وهذه القرية من قرى المجدل، ما خرّجت إلا العنداء من الرجال، طراز عجيب، أبناء هذه القرية... فكان عناد جبر عمار داخل السجن وخارجه عجيباً، كما هي الحال في الدكتور الشهيد إبراهيم المقادمة⁸، ومحمد نصار، ونبيل نصار، والشهيد زاهر نصار، وحتى عبد العزيز أبو القرايا من الجبهة الشعبية، فقد كانوا جميعاً "نفس الطينة، ومن نفس العجينة" كما يقال.

وكان من أبطال جيش التحرير في القطاع الشهيد زياد الحسيني⁹، الذي استشهد في بيت الحاج رشاد الشوا، وكثيراً ممن التقيتهم في السجون من أبناء قوات التحرير الشعبية، وهم أكثر من كان حاضراً في الحرب ومقارعة الاحتلال، قبل حركة فتح وسواها، اللهم إلا الجبهة الشعبية، التي كانت حاضرة، لكن ليس بزخم قوات التحرير الشعبية.

جاء الشقيري، رحمه الله، إلى القدس قبل الحرب بأيام، وحطت به الرحال في فندق الأمبسادور في الشيخ جراح من القدس، وغادرها يوم الحرب إلى الأردن، والشقيري خيرٌ ممن جاء بعده. ومن قبله زار القدس والحدود الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، وعلق على اهتمام الناس بتشبيد القصور، والتطاول في البنيان في بيت حنينا (إلى الشمال من القدس)، وقال: من يريد أن يحرر أرضه، لا يتطاول في البناء على هذا النحو، والمنطقة خط أمامي، وربما كان مصيباً، فقد بنى أهلنا من بيت حنينا (ومعظمهم يعمل في أمريكا منذ زمن طويل) القصور... لكن بورقيبة لم يكتفِ بالتعليق، بل دعا إلى الصلح مع

⁸ إبراهيم أحمد المقادمة (1952-2003): ولد في مخيم البريج وسط قطاع غزة لأسرة هُجرت من قرية بيت دارس قضاء عسقلان. درس طب الأسنان في مصر، نشط في جماعة الإخوان المسلمين مبكراً. عضو النواة الأولى للجهاز العسكري الذي شكله الشيخ أحمد ياسين مطلع الثمانينيات. اعتقل سنة 1984 وحكم عليه بالسجن لثمانية أعوام. واعتقل سنة 1996 في سجون السلطة الفلسطينية وعُذب عذاباً شديداً لمسؤوليته عن بناء تنظيم عسكري جديد لحماس في القطاع. من أبرز قادة حماس في انتفاضة الأقصى، له عددٌ من المؤلفات أبرزها كتاب "معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين". اغتيل بصواريخ طائرات الاحتلال في 2003/3/8. انظر: عاطف عدوان، الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة: القائد والداعية المجاهد (غزة: مركز أبحاث المستقبل، 2004).

⁹ زياد محمد الحسيني (1943-1971): ولد في مدينة غزة. تخرج من الكلية العسكرية للضباط الاحتياط في القاهرة والتحق بقوات عين جالوت التابعة لجيش التحرير الفلسطيني. تولى مطلع سنة 1969 منصب قائد قوات التحرير الشعبية في قطاع غزة، والتي قادت المعركة ضد الاحتلال إثر احتلال سنة 1967. قاد عدداً من العمليات ضد الاحتلال. استشهد في 1971/11/21 في عملية اغتيال بعد اختطافه من قبل عملاء الصهاينة.

”إسرائيل“، فخرج الناس في مظاهرات ضده، وخاصة في مخيم عقبة جبر للاجئين، ورددوا: يا أبو رقية يا غدار، بعث بلادك بالدولار¹⁰.

قبل حرب 1967 لم تتوقف اعتداءات الصهاينة ودولتهم على القرى الفلسطينية، حيث استباح الصهاينة قرى الحدود، من قبيله غرب رام الله، والقريبة من الرملة واللطرون، إلى بلدة السموع، وهي إلى الجنوب من مدينة الخليل، وعلى التخوم الشمالية لبئر السبع؛ قتلوا الرجال وبقروا بطون النساء، وهدموا البيوت. وآخر ذلك ما كان في سنة 1966، وقبل الحرب بشهور، فخرج طلبة المدارس في مظاهرات عارمة ضد الحكومة الأردنية نصرة للسموع، كالرشيدية ومدارس القدس ونابلس، خرجوا في مظاهرات تعامل معها النظام بقسوة¹¹.

كانت ”إسرائيل“ تُعدّ للحرب، وتستعد للانقضاض من على أراضينا، وكانت الأنظمة تحارب على جبهات أخرى، دون أن ننسى صراعاها في الداخل مع شعوبها، فحزب البعث في الشمال في سورية أضعف الجيش وخرّب البلد، وأفسد على الناس حياتهم. وهناك في مصر، انشغل النظام بحربه في اليمن، كما أقدم على مطاردة وإعدام قادة العمل الإسلامي من رجال الإخوان، الذين حاربوا الصهاينة في فلسطين، وشهدت لهم ربوع القدس بذلك... وممن حاربوا الإنجليز في القناة في مدينتي السويس والإسماعيلية، فقام النظام بإعدام الشيخ محمد فرغلي، ويوسف طلعت جزار الإنجليز، كما أعدم سيد قطب في 1966/8/29 (قبيل حرب حزيران/ يونيو 1967). غير أن الله سبحانه كشفهم، فلحقهم عار الهزيمة في حزيران/ يونيو 1967. وصدق الله ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾¹².

لما أقدم النظام المصري على إعدام سيد قطب، رحمه الله، كنت في الإعدادية، وطلب مني الأستاذ عواد أبو قلبين، من سلوان، أن أقرأ على الطلبة في ساحة المدرسة، ساعة

¹⁰ عن زيارة أبو رقية للضفة الغربية في آذار/ مارس 1965، وتصريحاته وردود الفعل عليها، انظر: **اليوميات الفلسطينية المجلد الأول من 1965/1/1 إلى 1965/6/30** (بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1966)، ص 86-99. [المحرر]

¹¹ شهدت الضفة الغربية اعتداءات صهيونية متتالية تفاوتت في حدتها، كان أبرزها الهجوم على بلدة قبية ليلة 1953/10/15، والهجوم على بلدة السموع ليلة 1966/11/14. للمزيد عن هذه الاعتداءات يمكن مراجعة: Benny Morris, *Israel's Border Wars, 1949-1956: Arab Infiltration, Israeli Retaliation, and the Countdown to the Suez War* (Oxford: Clarendon Press, 1993).

مع الإشارة إلى أن جلّ مصادر الكتاب صهيونية. [المحرر]

¹² القرآن الكريم، سورة هود، آية 44.

الصباح، ما تيسر من القرآن عن روح الشهيد سيد قطب، كان ذلك في اليوم الذي أعدم فيه، أو بعده بيوم على ما أنكر، وفعلاً قرأت، ولا أدري لماذا اخترت الآيات من سورة الأنعام، من قوله تعالى من الآية ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹³.

هذا عما سبق الحرب والعدوان الصهيوني سنة 1967، أما عن الحرب وما بعدها، فهذا هم الصهاينة يوم دخول القدس، يعربدون ويتملكهم الصلف والغرور، وهم يرقصون رجالاً ونساءً في ساحة البراق، وحناجرهم تطلع: حطّ المشمش على التفاح... دين محمد ولى وراح. وكثير منهم ألسنتهم عربية؛ منهم المغربي واليميني والعراقي، ومن أتى من الدول العربية منهم ساطياً مغتصباً لأرض فلسطين.

قبل الحرب بأيام كان في المسجد الأقصى عالم شيخ جليل اسمه محمد الصيرفي، يدرّس الناس، ويعظهم، ويحذرهم من حرب قادمة، ومن احتلال للقدس، وأن الصهاينة يعدون العدة، والعرب في غفلة من هذا الذي يحاك ويدبر، فوقف له رجل من الحاضرين المستمعين، وقال له: بالأحذية هذه، وفي يده حذاءه... وبالصرامي هذه سنردهم ونتصدى لهم. فانظروا إلى هذا المستوى من الاستهانة بالعدو، والجهل بالحال والواقع وثقافة الهزيمة. وأظن أن شيخنا الصيرفي من الشام من دمشق أو أخواتها. أما بعد الحرب، فقد كنت في السادسة عشرة من عمري، وكانت الهزيمة مدوية، وغير مقبولة لدى الجماهير، لما منّتهم شعارات الأنظمة من الانتصارات. والحق أن أبا جهل لما خرج بجيش جرار، تعداده ألف مقاتل من مكة إلى مياه بدر، لحرب سيدنا محمد ﷺ كان قد أعدّ العدة، وأخذ بالأسباب لتلك المواجهة، بل كان مزهواً، وكان على رأس الجيش، ولم يسجل عليه أنه هرب من المعركة، ولما قال: نرد بدرأ ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، كان على ثقة من قوله، وإن خذله شيطانه وكفره. لكن الذين طلبوا للحرب سنة 1967 من العربان، وأغلقوا مضائق تيران، وقالوا من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر لبنيك عبد الناصر، وأم كلثوم معكم في المعركة، كانوا على غفلة من أمرهم، ولم يعدوا العدة، أو يأخذوا بأسباب الحرب، كانت جعجة لا طائل تحتها، ودفعت الجبهة المصرية ضريبة غالية، من خيرة أبنائها، بين القتل الميداني وبين الأسر،

¹³ القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية 75-79.

عدا عن الخسارة في المعدات وأدوات القتال. والحقيقة أنهم ما أحسنوا في شيء، حتى إن خطابهم السياسي كان عقيماً لا يرقى إلى مستوى الأحداث، وكانت أفئدة الحكام هواء. وهكذا تسقط وباقي الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء والجولان دون مقاومة تذكر؟! أقول: والله، لن يغفرها لهم التاريخ، وستبقى وصمة عار في جبين كل حاكم لم يدافع عن القدس وفلسطين والبلاد العربية. والله كلما أتذكر ذلك، فأول خاطر يقع في نفسي، أن أقف وألعن الحكّام؛ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودٌ﴾¹⁴.

وحتى بعد أن وضعت الحرب أوزارها، بقي الناس في حالة ذهول لما أصابهم وحلّ بهم، وبقيت الأنظمة على تعاستها، لولا أن الجماهير والأنظمة وجدت بغيتها في الثورة الفلسطينية والعمل الفدائي، الذي جاء على قدر مع تردي تلك الأيام، فكانت الثورة الفلسطينية هي الرافعة لحال الجماهير، والأمل الجديد الذي يخفف عنهم أثقالهم، ويفتح عليهم بوابات حالت دونها الأنظمة من قبل. والأنظمة كذلك، وجدت في الثورة الفلسطينية والعمل الفدائي، ما يخفف عنها ضغط الجماهير، فأخذ كل نظام يستقطب فصيلاً من فصائل المنظمة، وبعض الأنظمة أوجدت لها فصائل على ساحة العمل الفدائي، حتى تُنفذ سياستها، ويكون لها ذراعاً، حتى أن الملك حسين قال (عندما كان العمل الفدائي قوياً في الأردن): كلنا فدائيون، وقال: اقتلوهم! بأسنانكم وأظافرکم، في كلام موجّه للفلسطينيين ضدّ الصهاينة، وكانت موجّهً سريعاً ما ركبها الناس، واستثمروها على صعيد الأنظمة والجماهير.

جاء احتلال 1967 للقدس والضفة الغربية، وخرجت الأفاعي من جحورها، وعملت دولة الاحتلال وبلديتها في القدس على طمس معالم المدينة، وتغيير المواقع والحارات تحت مسميات جديدة، وتفريغ حارات من أهلها، ومدارس من طلابها، وحتى المساجد حاصروها وعزلوها، ومنعوا رفع الأذان من على مآذنها. فحارة البراق بمدرستها هدمت بكاملها، وأخلي سكانها، بل منهم من مات تحت الهدم، والمدرسة التنكزية، والتي تلقينا فيها علومنا الشرعية، تحت مسمى ثانوية الأقصى الشرعية، أُخرجنا منها بقرار عسكري من وزير دفاع الاحتلال آنذاك موشيه ديان Moshe Dayan، كان ذلك سنة 1968، بحجة أنها مظلة على حائط البراق، الذي يسميه الصهاينة حائط المبكى،

¹⁴ القرآن الكريم، سورة هود، آية 95.

ويمارسون عبادتهم قبالتة، لكن دراستنا لم تتوقف، فاستوعبتنا دار الأيتام الإسلامية في حجراتها في ساعات المساء، ثم انتقلت الثانوية الشرعية إلى باب الأسباط أحد أبواب المسجد الأقصى.

جاء الاحتلال سنة 1967 ووضع يده على كثير من أملاك الغائبين، وعلى كل المؤسسات الحكومية، ومراكز الشرطة، التي كانت تابعة لحكومة المملكة الأردنية الهاشمية، بل تعدى ذلك، فحوّل هذه المراكز (كما هي الحال في رأس العامود والنبى يعقوب) إلى بوراستيطانية. وما إن وطئت أقدام الاحتلال المدينة، وإلى يومنا هذا، والتهويد قائم على قدم وساق، وحرب التفريغ والتضييق، والضرائب الباهظة التي لا تطاق ولا تستطاع، حتى يهجر أهل المدينة بيوتهم نتيجة هذه السياسة المجرمة. لقد تحولت أحياء وحات كاملة من العرب إلى الصهاينة، ما بين سرقة، وبيع، وشراء، وسمسرة، وخراب ضمير، وما إلى ذلك. لكن كان هناك في القدس من أثر الموت والفقير، على أن يفرط ببيته، منهم أناس ماتوا تحت الهدم، ولم يبرحوا بيوتهم، ومنهم الحاج موسى الخالص، رحمه الله، الذي راودوه كثيراً، وإغراءات لا مثيل لها، حتى يتنازل عن عقار من عقاراته، لكنه رفض وبإصرار، وعزة، وكرامة. فكل من يتابع الأخبار سمعه على شاشة التلفزيون يقول: إنه لا يمكن أن يبيع بيته، حتى يأخذ توكيلاً من كل أبناء الأمة الإسلامية، بما في ذلك الأطفال الصغار، لقد مات، رحمه الله، وبقي رمزاً، وأسطورة للرباط والثبات. لكن في المقابل، هناك من رخص نفسه، وباء بخزي الدنيا والآخرة.

جاءت حرب 1967، وما كنت أتوقعها؛ لأنني كنت أتشوق لتحرير فلسطين التي احتلها الصهاينة سنة 1948، كنت على ثقة بأن العرب في طريقهم إلى تحرير فلسطين، وأن زحوفهم آتية كالطوفان، وكنت أتوجع وأتحرق على الذي دهى أهلنا سنة 1948، وأنظر إلى مغتصبة رامات راحيل Ramat Rachel، المجاورة لبلدة صور باهر، والتي أقيمت على أرض بيت صفافا وصور باهر، وأردد ما يغنيه فريد الأطرش (من أحبها) وما طالها (نالها): "قدام عينياً، وبعيد علياً، مقسوم لغيري، وهو لياً".

احتلت القدس، ورفع الاحتلال علمه على قبة الصخرة، ولم يمتلك أحد الجرأة على إنزاله من ذلك المكان الطاهر، وقد بلغت الهزيمة من الناس مبلغها، إلى أن جاء السفير التركي وطلب من قوات الاحتلال إنزاله، فأنزروه.

وأذكر أن معظم أهالي القرى الحدودية تركوا قراهم، وهاجروا إلا القليل، فأهالي أم طوبا وصور باهر تركوا مساكنهم خوفاً من بطش الصهاينة، وما يعرفه الناس من أذاهم، ولأيام قليلة نزل الناس قريباً من قراهم (فنحن وأهل صور باهر نزلنا على عرب التعامرة والعبيدية)، ثم رجع الناس إلى بيوتهم. وبالرغم من صغر سني وقتذاك، ومن هول الصدمة وتشنج الموقف، إلا أنني، وابن عم لي، قررنا العودة إلى القرية قبل عودة الناس، حيث كانت طلقات الرصاص من جيش الاحتلال تتراشق من على منڈنة مسجد صور باهر، المطل على المحيط كله، بل وعلى جبال الكرك في الأردن. لقد عدنا إلى بيوتنا ونمنا ليلتنا، كل في بيته دون أهله، وتغطيت بما في ”معزل“ البيت من لحف، وافترشت بما في البيت من فرش ومتكات.

إنها جريمة أن تسقط القدس، وأن يتخذ الناس كتاب الله وراءهم ظهيراً، وإلا بأي ذنب قتلت رجاء حسن أبو عماشة وهي تُنزل العلم البريطاني من على سارية القنصلية البريطانية، في مظاهرات كانون الأول/ ديسمبر 1955¹⁵؟

كل ذلك حتى يقتلوا في الناس روح التحدي... لكن الناس وطلبة المدارس أخذوا يرددون في المظاهرات: رجاء حسن تنادي أنقذوا لي بلادي. وكذلك بأي منطق تُفرغ حارة الشرف من أهلها، ويرحلون إلى مخيم شعفاط قبل الاحتلال بسنة؟ وكان في هذه الحارة ربع سكان البلدة القديمة، لقد رُحِل عنها 500 عائلة، وهم اليوم ما يقرب من ثلاثين ألف مواطن. ولقد أُفرغت الحارة لتأخذ اسماً جديداً بدلاً من حارة الشرف، هو ”حارة اليهود“، وكان معظم سكانها من الذين هجروا سنة 1948، من قرى غربي القدس. ومرة أخرى لماذا تفرغ الخطوط الأمامية وجبهة المواجهة من الدبابات والمعدات الثقيلة قبل شهر من الحرب والعدوان؟ لماذا نقل عتاد الجيش الأردني من غربي الضفة إلى شرقيها؟ ولماذا أتوا بالأغرار من الجيش الذين يجهلون المواقع، ولا يعرفون المناطق بدلاً من الجيش الذي أته الأوامر بالانسحاب، وهو الذي ألف الخطوط الأمامية طويلاً في السنوات العجاف، ولم يبقَ من الجيش إلا من تمرد على القرار، وآثر المواجهة مع العدو على الهرب؟ وأذكر حادثة في أول يوم من الحرب أن جندياً أردنياً، من معان،

¹⁵ قتلت رجاء أبو عماشة، من لاجئي أريحا، سقطت في القدس يوم 1955/12/17، وهي أحد كوادر الحزب الشيوعي الأردني الطلابية، في مظاهرات خرجت تنديداً بتوجه الأردن لحلف بغداد. للمزيد انظر رواية القيادي الشيوعي عبد العزيز العطي في: عبد العزيز العطي، رحلة العمر من شاطئ غزة إلى صحراء الجفر (عمان: نشر خاص، 2012). ص 126-127. [المحرر].

أتوا به إلى الجبهة، وهو يجهلها ولا يعرفها، ففي يومه الأول من المعارك توجه إلى الغرب في انسحابه، بدلاً من التوجه إلى الشرق، توجه إلى مواقع الصهاينة، ولولا أقارب لنا أخذوا بيده إلى طريق السلامة والأمان، لقتل أو وقع أسيراً في أيدي الصهاينة. وصدقت العرب فيما قالت: "قتلت أرض جاهلها، وقتل أرضاً عالمها".

وقصة الجامعة العبرية، القائمة على أرض العيسوية، وما يحيط بها من مستوطنات، هذه البؤرة كانت مزروعة في محيط كلُّه عرب، وقوافل الإغاثة والمدد تغدو وتروح إليها كل يوم أحد وخميس من الأسبوع، وعلى أعين الناس، والنظام الأردني وصي على حراستها، وكثير من الناس يجهلون، ولا يعلمون أن استيطاناً قائماً تحت اسم جبل سكوبس وهداسا الشرقية وعلى أرض العيسوية؟ وكثير من المواقع، ومنها التلة الفرنسية وما تسمى عطروت، مُنع الناس من البناء عليها، حتى إذا جاء الاحتلال، استولى عليها وبنى عليها منطقة صناعية. وأخذت هداسا والجامعة العبرية ومستشفاها النفس العميق، لما اجتاحت جيوش الاحتلال القدس والعيسوية، وتوسعت على حسابهما، وعلى حساب شقاء الناس وحياتهم.

العولم والزواج:

بعد أن انتهت من الدراسة الثانوية بنجاح، ومضى على الاحتلال ما يقرب من أربع سنوات ثقيلة على الناس، وعلى مفاصل حياتهم، وكلما طالت أيام الاحتلال بلا مقاومة مع غياب الوعي، ترسخت أقدامه، واستشرى تغوله واستفحل خطره، والمقاومة وظروف العمل الفدائي لم يكونا بالمستوى المطلوب من النجاعة في إيلاام العدو، أو النيل منه، فتجربة العدو في اختراق صفوفنا، و صفوف الأنظمة المحيطة بنا، فاقت قدرتنا على التصدي لضعف المناعة عندنا، وقد استبيحت الساحة من قبل الغزو الفكري، الذي استثمر جهل الأمة، ولم يتح ما عندنا من المناعة من صدها... و صفوفنا من خلال تجربة الثورة الفلسطينية كثيراً ما اخترقها الأعداء... ليس بذكائهم بقدر ما هو إهمال منا، وعدم حصانة في قوانا البشرية، فالإغراءات، في ظل غياب الوازع الديني، والتربية الوطنية الصادقة، دفعت بالناس أن يقبلوا ثقافة الهزيمة، بدلاً من أن تكون فلسطين وقضيتها أكبر وأهم اعتباراً من طغيان المحسوبية باسم التنظيمات. حيث لم تأخذ حظها عند الرواد على صعيد التعبئة، التي في غيابها دفعت بالناس إلى مجاملة الاحتلال، والسكوت عن تصرفاته على حساب الوطنية... إلا من رحم الله.

لقد تغول الاحتلال بمشاريعه، واستنزف ما عند الناس من قوة، وأحكم من خلال أجهزته الأمنية السطوة على كثير من المرافق العامة، حتى أن سائق الأجرة، أو مدير المدرسة، لا بدّ أن ترضى عنه المخابرات، حتى يحصل على رخصته، أو يترفع في وظيفته، إلا من رحم الله، وعلى هذا فقس.

أكملت الثانوية العامة، وإلى جانبها الثانوية الشرعية، وكان بالإمكان أن أوصل تلقي علمي الشرعية من خلال كليات الشريعة، في الجامعة الأردنية، أو الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة (على سيدنا رسول الله الصلاة والسلام)، أو جامعة الأزهر في القاهرة. لكنني شغلت عن ذلك، وآثرت العمل الحر والبناء على الدراسة لسنة كاملة، حيث كانت ظروف الثورة الفلسطينية تتراجع في الأردن، بعد نجاحات أحاطت بالساحة الأردنية، لكن النظام ضاق ذرعاً من الوجود الفدائي، واستغل ممارسات وأخطاء أساءت للعمل الفدائي، ومزّقت وحدة العمل الثوري، فعمل النظام بنجاح على اختراق صفوف الثورة والتنظيمات، واستطاع أن يؤلب الرأي العام في الجيش ضدّ الثورة. وكان هناك بالمقابل شعارات وملصقات لماركس ولينين، على جدران مسجد الأشرفية، وأن عمّان هانوي العرب، فتداعت الأسباب من هنا وهناك، حتى كانت الحرب التي قذفت بالثورة الفلسطينية خارج الأردن، فكانت أحداث أيلول/سبتمبر الداخلية، ووقعت الفتنة بين أبناء الشعب الواحد. وانتهت الحال بالساحة الأردنية أن أمنت "إسرائيل" الحدود مع الأردن، بعد أن كانت ساحة ملتهبة، وجبهة ساخنة على الدوام. هذه الأحداث كنت شاهداً على آخرها عام 1970/1971، حيث حطت بي عصا الترحال هناك في عمّان، وعاشت حساسية الظروف، وسمعت تعليقات الناس على ما مضى من حال الثورة الفلسطينية. فذات مرة وأنا في طريقي إلى الجامعة الأردنية سمعت سائق أجرة يقول: "ما بدو أبو العمامير (يقصد أبو عمار) يظل حاكم من درعا إلى العقبة، أبو العمامير يريد أن ينقلب على الملك". لكن فيما بعد تجاوز الناس كل هذه الهموم، وعادت الحياة إلى طبيعتها شيئاً فشيئاً، والتقيت من لي بهم رحم وصلة قربي، وكان منهم الأخ المناضل وابن مجموعتي، منير أبو طير (أبو أشرف)، وتناولنا أطراف الحديث عن الثورة وظروفها، وعن حاله وهو يتنقل بين صفوف الفدائيين في حرب أيلول/سبتمبر، حتى انزلت به رجليه في بئر في الجبل الأخضر، وجعل من سلاحه الدكتوريفوف سُلماً للخروج من البئر.

كان حضوري إلى الأردن من أجل الدراسة في الجامعة الأردنية، ومن وراء ذلك ترتيب أموري لاستئناف العمل الجهادي من خلال صفوف الثورة؛ لأن مقارعة الاحتلال ومقاومته كانتا شغلي الشاغل، وهما اللتان طغتا على كل شيء في حياتي، حتى على الدراسة وعلى العمل الحر، وحتى على أولوياتي مهما كانت.

قطعت زيارتي لعمّان، ورجعت إلى مدينتي التي أحب "القدس"، ومن أجل عيونها أضحى بالغالي والنفيس. وذهبت إلى المحكمة الشرعية في شارع صلاح الدين، ودخلت على فضيلة الشيخ حلمي المحتسب، رحمه الله، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية، وإلى جانبه فضيلة الشيخ سعيد صبري، قاضي القدس الشرعي، ووالد الدكتور عكرمة صبري، والذي تصدّى لقوات الاحتلال عند اقتحامها لمدينة قلقيلية، وهدمها لعشرات البيوت في المدينة؛ فكان للشيخ موقفه، حيث رفع صوته عالياً أمام السفارات الأجنبية، كي تتدخل لوقف ذبح المدينة، وإخراج أهلها منها.

دخلت على الشيخين الجليلين، وقلت لهما: انتهى إلى سمعي أن الأوقاف في حاجة إلى أئمة مساجد، وأنا أحد خريجي المدرسة الشرعية، فقال لي الشيخ حلمي المحتسب: بهذه الفتوة، وبهذا القميص "النص كم". فقلت: ما المطلوب يا سيدي؟ فقال: أن تتزيا بالزي الشرعي، وأن تلبس الجبة والعمامة. فقلت: مقبولٌ علي. وكان ذلك، واستلمت كتاب تعييني وتصنيفي بعد فترة قصيرة، من أواخر سنة 1972. فكانت الجبة والعمامة من شروط الوظيفة في كتاب التعيين، واستحضرت بيتاً من الشعر كان يردده الإمام محمد عبده:

وإن ديناً قد أردت صلاحه مخافة أن تقضي عليه العمائم

تسلمت عملي إماماً ومدرساً وخطيباً للجمعة، في مسجد قرية من قرى القدس اسمها الجيب، وهي إلى الشمال من القدس، وتجاورها قرىتا بير نبالا والجديرة، وإلى الغرب منها بيت إجزا وبدو وقطنا وعدة قرى أخرى، وتعدت وظيفتي من إمام مسجد إلى مأذون شرعي للقرى الثلاث، الجيب وبير نبالا والجديرة، ومن خلال عملي، كانت لي حملة قاسية على أناس من هذه القرى وغيرها، لما فرطوا من حقوق على صعيد الوطن والوطنية، والصراع مع العدو، فقد خرج بعض الناس عن المألوف، وقبلوا على أنفسهم أن يبيعوا أراضيهم للاحتلال، وكثرت السمسرة بين الناس، وأقيمت مستوطنات من على الأراضي التي بيعت للصهاينة، مثل جفعات زئيف Giv'at Ze'ev التي أقيمت على

أراضي الجيب، فكانت حملتي شديدة على السماسرة، وعلى كل من يفرط ويبيع أرضه للصهاينة، وكنت أُلقي على الناس من الفتاوى، ما تحرم عليهم بيع الأراضي للصهاينة، وأردد على أسماع الناس أبياتاً من الشعر قالها إبراهيم طوقان من قبل:

يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة
ولا تعلمت أن الخصم خداع
لقد جنيت على الأحفاد والهف
يوهم عبيد وخدامً وأتباع
وغرّك الذهب للمّاع تحرزه
إن السراب كما تدريه لمّاع
فكر بموتك في أرضٍ نشأت بها
واترك لقبرك أرضاً طولها باع

وبطلب من أهالي هذه القرى عرضوا عليّ الزواج؛ لأنّ وظيفتي حسب عرفهم لا بدّ لها من زواج، وعملي في عقود الزواج ودخولي على بيوتهم، لا بدّ له من إحسان حسب فهمهم، وكان على المأذون أو الشيخ أن يكون أقرب إلى الشيخوخة.

ومع هذا كانت لي رغبة في الزواج، وتمّ لي ذلك وتزوجت من أم مصعب بتاريخ 1973/3/3، والثلوج تتساقط على جبال القدس ومرتفعاتها، وفي تاريخ 1974/2/1 رزقني الله منها بابنتي "فلسطين"، وبعدها بثمانية أشهر ونصف دخلت السجن لأول مرة. وقد أثمر ارتباطي بزوجتي هذه أربعاً من البنات وولدين؛ وهم على الترتيب: فبالإضافة لفلسطين مصعب، وأروى، ومريم، وخولة، ومحمود، وعلى فترات بين الذهاب إلى السجن والإياب منه، ثمّ تعسرت العشرة بيننا؛ وكان الفراق. وأما الزوجة الثانية، فقد جاءتني إلى السجن بعد اعتقال سنة 1998، وطلبت الفراق، ولي منها ابنة اسمها هند، وهي اليوم أم لطفلة، وأسأل الله تعالى أن يحفظهنّ جميعاً، وأن يجللهنّ بستره... اللهم آمين.

وللعلم، أني ما عشت مع النساء من هذا الذي مضى من العمر، أكثر من ثماني سنوات. فبحثت عن زوجة، وهي التي تعيش معي الآن، ويكفيني دينها، وقد دخلت بها يوم 2005/2/23.

إحراق المسجد الأقصى 21 آب/ أغسطس 1969:

أن يُحرق المسجد الأقصى، وأن تلتهم النيران منبره وأعمدته وجدرانه، فذلك تتمة لما عجزت عنه المعارك في حرب 1967، ولولا وجود دعم وإسناد وتخطيط على مستوى عال،

ما نجح ذلك الحاقد الذي يدعى دينيس مايكل روهان Denis Michael Rohan بمفرده، أن يقوم بهذا الحريق، وبسرعة أذهلت المصلين، وخرجت عن سيطرة الحاضرين. وإلا كيف؟ ولماذا منعت سلطات الاحتلال إطفائية البلدية، وعمالها من العرب المقدسين، من الوصول إلى ساحات المسجد الأقصى لإطفاء الحريق؟ وقد استنجدت الأوقاف والناس بالإطفائية لكن دون جدوى، ما دفع الناس والجيران — بما يستطيعون — نقل المياه بالدلاء، والأواني البيتية من الآبار لإطفاء الحريق، وهذا ما حصل.

إنه الحقد الصهيوني الذي دفع بروهان أن يقدم على جريمته، وأن تُبرئته محكمة الاحتلال، بعد ذلك بدعوى الجنون، وإنه الحقد الدفين، وإنها عداوة الدهر... وصدق الله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾¹⁶.

إن حريق المسجد الأقصى أوجع القلوب وأدماها، وفضح الأنظمة، فضيحة لا تقل عن هزيمة حرب 1967، فمن هذا الذي لا يحترق قلبه، وهو يرى النيران تلتهم منبر صلاح الدين، الذي هو روعة في البناء، وآية في الزخرفة؟ بل روعته الحقيقية، تكمن في أنه شكّل رمزاً لمرحلة تعافت فيها الأمة، بعد تحرير بيت المقدس والمسجد الأقصى من أيدي الصليبيين، فالمنبر ابْتَدَى العمل به أيام نور الدين زنكي، ولأكثر من ثلاث عشرة سنة، إلى أن جيء به من حلب إلى موقعه في المسجد الأقصى، على يد القائد والمحرر صلاح الدين الأيوبي، والمنبر على مرّ الأيام شاهد على النصر بعد هزيمة الصليبيين في حطين، وهذه أبيات من شعري، قلتها بهذا الشأن:

وَحَيِّي رَجَالاً تَوَلَّوْا حِمَاهَا	على القُدسِ سَلْمٌ وَقَبَّلْ ثَرَاهَا
وَنَادِي صِلَاحاً وَحَقَّقْ مَنَاهَا	وَحَيِّي المَحَارِبِ مِنْ... أَرْضِهَا
يَهُودَ مَحَارِبِهَا... بَلْ ثَرَاهَا	إِلَى القُدسِ هِيَا فَفَقَدَ أَحْرَقَتْ
فَجَنَدَ المِثْنَى تَدَاعَى نَدَاهَا	لِئَنْ عَرَبِدَ العَجَلِ فِيهَا... وَتَاهَا
جِيوشاً، وَقَوْمُوا عَلَى مَن قَلَاهَا	إِلَى القُدسِ هِيَا تَعَالُوا سَرَى
هُمُو لِلْمَغِيرَاتِ صَبْحاً... تَرَاهَا	أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ فِيهَا... رَجَالاً
لِصَبْحِ غَدَا نَصْرِهِ فِي سَمَاهَا	فَصَبِراً فِلَسْطِينَ إِنَّا... هُنَا
تَعَاْفَى مِنَ اللَّيْلِ بِيغْيِ ضَحَاهَا	لِيَوْمِ تَرَى أُمَّتِي... صَبْحَهُ

¹⁶ القرآن الكريم، سورة المائدة، آية 82.

يداوي الذي أفسدوا من رباها
 تنادي زماناً لنا فيه... جاها
 لمسرى زعيم النبيين... طه
 وباهى الإله... بأحمد... باهى
 خيول التقى محممت يا... فتاها
 بتكبيرة ليس نبغي... سواها
 لمن عاث فيها فساداً... علاها
 ومن بعده آل عثمان تلاها

شباب له همة في العمل
 تهاب المنايا دنو الأجل
 يهودٌ تداعت وحلّ الزلل
 سلام من القدس فيه الوصل
 لما بيعت القدس بيّع البقل
 على منبر آية في العمل
 بجيش لتحرير أرض الرُّسل
 صلاحٌ على خيله ينتقل
 بناه صلاحٌ لأمر جليل
 عن القدس يوم اعتلاها النذل
 بنى منبراً بالتقى... والعمل
 فيا ويحه منبرٌ... لو عقل
 زها لهما السهل قبل الجبل

فلسطين من لليهود... سوانا
 بلادي التي أشبعوها أذى
 فيا صخرة القدس... نحن الفدا
 لمسرى تداعى إليه النبيون... تترى
 فصبراً فلسطين صبراً... إذا
 فإنّ إذا الزحف قدّ الصدى
 فويل لمن هوّدوا القدس... ويل
 لنا في الخوالي صلاحٌ ونور
 وأخرى:

أنادي وفي القدس جيل الأمل
 رجال إذا شمروا... للوغى
 أنادي وفي القدس حلّ العنا
 فيا آل عثمان يا من... صبر
 فلولا الأفاعي ولولا الخنا
 ويا آل زنكي سلام... عليكم
 كُماةٌ ونورٌ يقود... الخطا
 ومن بعده فيلقٌ ذو... تُقى
 فشتان شتان ما بين جيش
 وجيش تراخت عزائمه
 وشتان شتان ما بين جيل
 وجيل زها بالخيانة... كِبِراً
 صلاحٌ ومن قبله... عامر¹⁷

¹⁷ عامر: أبو عبيدة بن الجراح.

إنها جراحات النفس الموحجة، وأنا أتحدث عن القدس، وما دهاها، وعن الأقصى، وما حلَّ به وجرى له، في غياب أمة عجزت أن تغالب نيران الحقد، التي أحاطت بأولى القبليتين وثالث مسجد تُشَدُّ إليه الرحال. وفي كل يوم تُتلى آية الإسراء وسورة الإسراء على مسامع الأمة، فهي نداء للنفير ودعوة للزحف، ولها جرسٌ يقرع ويذكر الأمة، بمسرى نبينا محمد ﷺ وبالمكانة التي خصَّ الله تعالى هذا البيت بها، فقد ورد في الحديث المرفوع أن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتَنَّا فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ. فقال: "أَتَتْهُ فَصَلُّوا فِيهِ"، وَكَانَتْ الْبِلَادُ إِذْ ذَاكَ حَرْبًا، "فَإِنْ لَمْ تَأْتُوهُ وَتَصَلُّوا فِيهِ، فَابْعَثُوا بَرِيَّةً يَسْرُجُ فِي قَنَادِيلِهِ"¹⁸؛ وهذا هو الفضل.

لقد التهمت النيران المنبر والمسجد، وكل من هو في محيط القدس شاهد أسنة اللهب، تأتي على كل شيء، حتى قبة المسجد، فوالله إنني شاهدت الدخان عن بعد عشرة كيلومترات، وهي آخذة سبيلها إلى السماء، وأنا في الطريق إليه مشياً على الأقدام، من أم طوبا إلى القدس، لما سمعت بالخبر. وطار حتى بلغ الآفاق، وسمعت به العرب والدول المجاورة، وعجزت أن تحرك ساكناً، حتى قالت جولدا مائير Golda Meir، رئيسة وزراء الاحتلال: "كنت أراقب ردة فعل العرب على خوف، وأعصابي مشدودة، حتى مضى اليوم الأول والثاني والثالث، ولم يحرك العرب ساكناً... فاطمأنت".

لقد التهمت النيران المنبر، الذي من عليائه خطب الخطباء، وطار في الآفاق بشائر النصر، لما اعتلى الفاتحون المنبر، وصلى المصلون صلاة النصر والفتح. وإنَّ هذا المنبر بمسجده، الذي كان مناراً للعلم وملتقى للعلماء، ويحتضن مئات من حلقات العلم، لمئات من العلماء بين أروقه وتحت ظلاله. حتى قال الإمام الغزالي رحمه الله، لما وجد أن أكثر من ثلاثمئة حلقة علم تقام فيه فقط: لقد ضاع الإسلام، فكيف بحال المسجد في الستينيات من القرن الماضي، وما بعد ذلك حتى أيامنا هذه، لا تجد فيه ثلاث حلقات من العلم، والذي يعظ فيه اليوم، هيهات أن يرقى لمستوى العلماء.

لكن بالرغم من هذه الأوضاع، وبالرغم من ما يتعرض له المسجد الأقصى، من انتهاكات وحفريات واعتداءات، على جغرافيته ومبناه، وعلى رواده، حتى أن المسجد

¹⁸ انظر نصح في: سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 2 (صيدا: المكتبة العصرية، 1950)، الحديث رقم 457. [المحرر]

بأبوابه الخارجية، تحيط به شرطة الاحتلال، وأجهزة أمنه المدججة بالأسلحة، تحاصره وتحول بين الناس وبين مسجدهم وصلاتهم؛ فلا حرية عبادة للمسلمين ولا حتى للمسيحيين في ظل هذا الاحتلال، بل إن شرطة الاحتلال، تمنع الناس لأشهر من دخول المسجد، ولقد منعوني خمس مرات من دخول المسجد لعدة أشهر، بل منعوني من دخول البلدة القديمة من القدس. وأكثر من هذا خرجت من السجن بعد أربع سنوات من الاعتقال، مكثت بعدها في بيتي أربعين يوماً، ولم يسمحوا لي بالصلاة في الأقصى، واعتقلت ثانية، وأبعدتني قوات الاحتلال قسراً عن بيتي، وعن قدسي ومسجدي، ولم يُسمح لي بالصلاة فيه.

مرة أخرى بالرغم من هذه الأوجاع، فإنني على يقين بأن القدس والمسجد الأقصى، بين يدي فتح وتحرير جديدين، ما دام المسلمون يقرؤون الآية الأولى من سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾¹⁹. فسيدنا محمد ﷺ صلى فيه بالنبيين لما أسري به في تلك الليلة، وكان الإسراء فتحاً روحياً، وتوجيهاً لتحريره، ودعوة لإعمارهِ، وسيدنا عمر، رضي الله عنه، جيش الجيوش لحرب الروم، وتحرير أرض العرب منهم، وجاء القدس فاتحاً بسلام، وكان ذلك، والعهد العمرية إلى يومنا هذا شاهدة على التاريخ، وصلاح الدين الأيوبي حررها بعد أن حكمها الصليبيون لأكثر من مئة عام إثر حملات صليبية شهيرة.

واليوم أقول إن التحرير قادم، وإن كل ما سوى آية الإسراء زائل؛ لأن في الآية دلالة لن تُمحي أبداً، يوحى التنزيل والتنزيه فيها: أن القدس والأقصى بين يدي فتح قادم، ما بقيت آية الإسراء. وأما رمزية الأقصى في الآية، فقد طغت على كل جغرافيا يمكن أن تذكر، وإن البركة لن تنزع من الأقصى وما حوله، فأية الإسراء تحمل بشائر الفتح. وإن آية الإسراء أكبر من أن يساوم عليها أحد، أو تكون موضعاً للتفاوض.

إن حريق الأقصى على ما أذكر، استنفر كل من هو ساكن في القدس، من العرب مسلمين ومسيحيين، رجالاً ونساءً، حتى من وقعوا فريسة الزعرنة والمخدرات، أخذتهم النخوة والحمية، واستبسلوا في إخماد الحريق، أما الصهاينة فهذه فرصتهم.

¹⁹ القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية 1.

بصحبة رسول الله ﷺ:

من دون تعليق على الرؤى، فهي ليست حكماً شرعياً، وإنما هي مبشرات يُستأنس بها، إلا رؤى الأنبياء فهي حق، وكما جاء عن نبينا محمد ﷺ ”الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة“²⁰. وأحاديث حولها كثير، المهم أنني رأيت فيما يرى النائم، أنني في البيت، وإذا بطارق يطرق علينا البيت ويقول لي: تعال إلى النبي ﷺ فخرجت من البيت إلى الحارة، وإذا بعمود من الرخام كأعمدة المسجد الأقصى من الأرض، إلى ارتفاع يصعب اعتلاؤه، والرسول في أعلاه جالسٌ على كرسي، فقلت: يا الله!! كيف بي أن أصعد إلى أعلى، حيث النبي ﷺ وإذا أنا بقدره قادر، واقف بين يدي رسول الله ﷺ وأعطاني من الكتب الكثير، بعدما ألقيت عليه السلام ... وحملت وحمل الناس معي هذه الكتب إلى بيتنا، ثم إنه أعطاني ورقة نقدية من فئة عشرة دنانير أردنية، فقال لي: تسد بها حاجتك، أو دينك وما على أهلك من دين، وذهبت بالدنانير إلى الحانوت، وأحضرت حلاوة وعلب سردين إلى النبي ﷺ فقال لي: عندي منه الكثير، ولم يأخذ منه شيئاً. ولربما أذكر أنه قال: إن كنت تريد فعندي الكثير، والله أعلم، وانتهت الرؤيا الأولى إلى هنا، وتعبيرها والله أعلم قد تحقق؛ لأنني بعدها ذهبت إلى ثانوية الأقصى الشرعية، وتلقيت علمي بها، وجاء السجن، وقرأت ما معدله ثماني ساعات يومياً على مدى ثلاثين سنة؛ لأنه في بعض الأيام كنت أقرأ أربع عشرة ساعة، معظمها علوم قرآنية، وأحاديث نبوية، وتفسير وفقه على مختلف مسمياته، وتاريخ، وكثيراً ما كان اهتمامي منصباً عليه؛ لأن مَثَل التاريخ في حياة المرء كالسائق، عن يمينه مرآة وعن شماله مرآة، وأمامه مرآة وينظر إلى الخلف... إلى ما وراءه حتى تتبين له الطريق، فهو يسير إلى الأمام وعينه إلى الوراء، وهكذا هو التاريخ مرآة للمستقبل.

أما الدنانير، فقصتها والله أعلم، أنني لخمس وثلاثين سنة، وأنا موظف أوقاف وأتقاضى المعاش الشهري بالدينار الأردني، وكذلك لي أخوان هما (أبو خالد) عمر (أبو زيد) راضي، أحدهما مراسل في دائرة الأوقاف ويتقاضى معاشه بالأردني،

²⁰ حديث متفق عليه، انظر نص الحديث في: صحيح الإمام البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر (الرياض: دار طوق النجاة، 1422هـ)، الحديث رقم 6989. [المحرر]

وأبو زيد حارس وعامل في إطفائية الأقصى، ويتقاضى معاشه كذلك بالأردني، وأكثر ما دخل بيتنا الدينار الأردني، وما لحق بنا ضيم، والحمد لله.

وأما الرؤيا الثانية، فلربما تأويلها عجيب، ولها دلالات واضحة، فقد رأيت فيما يرى النائم، أني أحمل طفلاً صغيراً بلفاعة [قطعة قماش يلف بها الطفل الصغير] بيضاء، وسرت به إلى الجنوب من بيتنا، وبالقرب من مدرسة قريتنا أم طوبا ولم تكن من قبل. وكانت أمي واسمها هاجر رحمها الله، وجدتي واسمها علياء رحمها الله، تجلسان في ظل شجرة لوز كبيرة، فجنّتهما وألقيت عليهما السلام، وقالت لي أمي: حتى الآن ما أخذت أخاك إلى الطبيب؟—هي تقصد الطفل الذي بين يدي— فقلت لها: أنا ذاهب. وسرت في طريقي إليه منتحياً جانبه الأيمن، وإذا أنا برجلين من الأقارب: أحدهما اسمه محمود خليل رشيد، والثاني محمود حمدان أبو طير. وسرنا معاً في الطريق، لكننا افترقنا بعد قليل... هما سارا شرقاً للعمل في المحاجر، وأنا سرت جنوباً نحو مدينة بيت لحم، ونزلت وادياً، وإذا أنا في ظلام دامس وعمّة لا يرى منها شيء، وقد أرخى الليل بظلامه، واعترتني حالة من الخوف، فقلت يا الله! كيف السبيل؟ وأنا خائف من الوحوش وهوام الأرض لا سواها... وإذا أنا بالنبي ﷺ يقول لي: امش... أنا معك، وسرت عن يمينه والطفل بين يدي، حتى وصلت به إلى بيت لحم، ودخلت على طبيب اسمه سليم جليل، وعائلة جليل في بيت لحم من النصارى، فعرضت عليه أخي دون أن يدخل النبي ﷺ معي، بل لا أدري أين ذهب؟ ونسيت أنه كان معي، وأنني رافقته الدرب. ثم خرجت من عند الطبيب، وإذا بالدنيا ظلام دامس، فقلت يا الله!! كيف الإياب؟ وإذا بالنبي ﷺ يقول لي: امش أنا بانتظارك، وارتاحت نفسي ومشيت إلى جانبه، لكن انتهت الرؤيا دون أن ينبج الفجر. ومضى على الرؤيتين ما يقرب من خمس وأربعين سنة وما نسيت منهما شيئاً. وبعد حين ولربما جاء تأويلها، فالولد في المنام هم، وحملته طويلاً، أمي هاجر، والطريق هجرة إلى الله، وجدتي علياء، وإن شاء الله نحو العلياء، ورفيقي ذهاباً في طريق مكابدة العيش، وأنا ذهبت من خلال ظلمة الليل إلى السجن الطويل، لكن الطمأنينة في عبارتين للنبي ﷺ امش وأنا معك، وامش وأنا بانتظارك، والطبيب سليم وجليل، والله أعلم.